

دور العلاج النسقي البنيوي الاسري في تحسين التواصل داخل الاسرة

د. لكحل مصطفى¹ جامعة سعيدة

أ. حوتي سعاد² جامعة تلمسان

مقدمة:

تعتبر الأسرة مجتمعا مصغرا يتفاعل أعضائها فيما بينهم وفقا لعلاقات تربطهم ببعضهم البعض، كما يعرفها minuchin (1967) بأنها نسق يعمل داخل السياقات الاجتماعية تميزه الدينامية والسيروية العلائقية والتبادل المستمر بين أفراد الأسرة والمحيط الاجتماعي (داليا مؤمن، 2004، ص: 135). حيث ان التفاعل بين اعضاء النسق يساهم في تكوين البنية الاسرية، و أي تغيير فيها يؤدي الى تغيير في سلوك افراد النسق العام الذي على شكل سلوكيات مضطربة تؤثر على توازن الاسرة. و نظرا لكثرة السلوكيات المضطربة داخل الاسرة، اهتم الباحثون بدراسة هذه الخلية و حاولوا تحليلها و فهم سبب الخلل الموجود فيها، ومن هنا ظهرت اولى بوادر المقاربة النسقية و التي كان الفضل في ظهورها الى الباحث البيولوجي bertalanffy ومعهد الابحاث النفسية palo alto بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية الذي جمع عدد من الباحثين و المعالجين النفسانيين ليكون هذا المعهد اول منطلق للتنظير النسقي.

دون ان ننسى دور كل من *باتسون* و *جاكسون* في تطور هذه المقاربة من خلال الابحاث التي قاموا بها و التي تعتبر اساس معهد الابحاث النفسية، حيث ركزوا فيها على الاتصال (cybernétique) والانساق (systèmes) والعلاقة القوية بين المصطلحين حيث ان للاتصال بين اعضاء النسق دور في التأثير على البنية الاسرية باعتبار الاتصال خاصية من خصائص النسق (Amardjia Nacerdine، 1988، p:36).

فالتواصل هو أداة تربط الناس ببعضهم البعض عن طريق تبادل المعلومات او الخبرات في نطاق المحيط الاجتماعي وهو عملية ضرورية لاستمرار الحياة الاجتماعية، ولنقل التراث و الحضارة من جيل الى اخر، ويكون الاتصال بين افراد الاسرة لفظي او غير لفظي، فاللفظي يأخذ شكل العبارات أما الغير اللفظي فيتمثل في لغة الجسد مثل الايماءات و الابتسامة و غير ذلك (سعيد حسن العزة، 2000، ص: 82).

¹ جامعة سعيدة

² جامعة تلمسان

و لتحسين الخلل الموجود في عملية التواصل بين افراد الاسرة حاول المعالجون المطبقون للعلاج النسقي ومن بينهم *سلفادور مينوشن* التركيز على التفاعل المتبادل بين افراد الاسرة الذي اساسه : البنية -الحدود -الانساق الفرعية.

ذلك لأن عملية التكفل العلاجي تكون انطلاقا من هذه المبادئ،حيث تتمثل مهمة المعالج هنا في تحديد حدود الانساق الفرعية و تحديد البنية الأسرية ،فمثلا: الحدود الموجود بين النسق الزوجي و النسق الاخوي هي التي تحدد كيفية تواصل افراد هذين النسقين .

يختلف الاتجاه العلاجي النسقي المتبع باختلاف رواده وفيما يلي سيتم عرض النموذج النسقي البنيوي لسلفادور مينوشن و أهم مبادئه و اهم المراحل المتبعة في عملية العلاج .

العلاج النسقي البنيوي :

يرى *سلفادور مينوشن* أن الأسرة نسق اجتماعي يتكون من اجزاء معينة يربطهم التفاعل المتبادل، حيث كانت اهتماماته حول عناصر النسق والعلاقات الداخلية بين اعضاء النسق العائلي وبين الاسرة والانساق الاجتماعية الاخرى(عبد الفتاح تركي موسى،بدون سنة، ص:36). و من اهم عناصر هذا الاتجاه :

1-البنية :

يعود مفهوم البنية حسب *مينوشن* إلى القوانين و القواعد التي تحدد من يتفاعل مع من داخل الأسرة،و يفترض *مينوشن* وجود بناء متسلسل هرمي في الاسرة يمتلك فيه الوالدان قوة اكبر من الأطفال ، و يمتلك الأطفال الاكبر سنا مسؤوليات اكثر من الاطفال الاصغر،كما ان الوالدان عادة ما يأخذان ادوار مختلفة فقد يكون احدهما المؤدب للأطفال في حين يكون الاخر عنصر موفر للعطف للأطفال(Albernhe et .K.Albernhe، 2000، p:95)

2-الانساق الفرعية :

ان الاسرة النواة التي بناها الزوجان تضم اربعة انساق فرعية اساسية و كل منها له وظائف و انماط في تفاعلاته و اتصالاته و هذه الانساق الفرعية هي :

*النسق الفرعي الزوجي او نسق الشريكين و الذي يتكون من الزوج و الزوجة .

*النسق الفرعي الوالدي و الذي يتكون من الوالدين كسلطة تنفيذية تحدد القواعد و القرارات في الأسرة و توفر الدعم الانفعالي و المادي للأطفال.

*النسق الفرعي الاخوي و يتكون من الاخوة الاشقاء و غير الاشقاء و يوفر التفاعل بين الاخوة.

*النسق الفرعي خارج الاسرة و يتكون من الأسرة الممتدة (الأقارب) و الأصدقاء(علاء الدين

كفافي، 2006، ص:341)

3-الحدود:

هي ذلك الحد الذي يفصل الانساق الفرعية عن بعضها البعض لتضمن لهم الاستقلالية حيث يمكن ان تكون هذه الحدود اما واضحة او جامدة او مفتوحة ، الا ان الحدود الواضحة تبقى مطلبا مثاليا ذلك لأن البنية الاسرية فيها تتميز بالمرونة عكس الحدود الجامدة فهي لا تقبل الاختراق مما يؤدي الي افراط في شعور بالاستقلالية مع نقص في التواصل مع الآخرين ،اما الحدود المفتوحة فتتميز بالعلاقات المتشابكة التي تجعل كل عضو في الاسرة يتدخل في عمل و خصوصيات الاخر (Mony Elkaim:224p).

تعتبر النقاط التي تناولناها باختصار العناصر الأساسية للعلاج النسقي البنيوي ، الا أن هذه العناصر لا يمكن استخدامها إلا في العملية العلاجية التي تعتمد على ثلاث خطوات اساسية هي: الانتماء الفعال - تقييم الأسرة و اعادة البناء. و يكون هدف التكفل هنا هو تغيير النمط التفاعلي الخاطئ بين اعضاء الاسرة وتحقيق التواصل والتفاعل الايجابي و الفعال .يصف *مينوشن* ثلاث خطوات مميزة خلال عملية تطبيق البرنامج النسقي البنيوي و التي من الممكن ان تتداخل فيما بينها، وهذه الخطوات هي: (K.Albernhe et T.Albernhe, 2000, p:97-98)

الانتماء أو الانتساب l'affiliation :

الهدف من عملية الانتماء هو تقليص المسافة بين الأسرة و المعالج ، حيث يرى minuchin انه يجب على المعالج حرفيا «ان يذوب» في الأسرة. لذلك فالانتماء هو تحالف قوي جدا مع الأسرة ، مع علاقة تعاطفية تولد الثقة و تسمح له بالدخول في وظيفة النسق ، فخلال هذه المرحلة من التكفل يبحث المعالج عن الامتصاص بالقدر الممكن لوظيفة الاسرة دون التشكيك فيها.

و من اجل فهم جيد لمعنى هذا التدخل، شرح minuchin بأنه في الخطوة الأولى يصبح المعالج ممثلا في الأسرة، في حين انه في خطوة إعادة البناء يعمل المعالج كمدير فضلا عن ممثلا.

2-تقييم البنية الاسرية l'évaluation de la structure familiale : هو عبارة عن تقييم دقيق جدا للأسرة، كما يعمل المعالج على وصف اداء الاسرة بأكبر قدر ممكن من الامانة من حيث البنية، الانساق الفرعية، و الحدود ويلخص استنتاجاته من خلال رسم الخريطة الاسرية بناءا على النقاط السابقة.

3-إعادة البناء la restructuration:

بالمجرد من الانتهاء من مرحلة الانتماء و من تقييم البنية الأسرية ، و حصول المعالج على فكرة دقيقة إلى حد ما عن الوظيفة الأسرية ، ينطلق المعالج البنيوي في إنشاء فرضية العمل و يحاول توسيع مسافة العلاقات المتبادلة بين عضوين ، حيث يقول minuchin : «يعمل المعالج غالبا كمنشئ للحدود ، فيوضح الحدود المنتشرة و يفتح الحدود الجامدة».

فقد كان يطلب minuchin من أعضاء الأسرة أن يثبتون بشكل مختلف في مكتب الفحص الخاص به، و يقوم هو بترتيب المقاعد و تشجيع فرد ما من الاقتراب من فرد اخر بمعنى مبدأ إعادة

التنظيم المكاني، كما يرى ان يشارك المعالج شخصيا في العديد من جلسات العلاج مع ضرورة ادخال تعليمات «العمليات والواجبات» على اعضاء الاسرة للقيام بها بمجرد العودة الى المنزل. كما يعتمد المعالج في اعادة بنائه على تغيير العلاقات ، و بناء حدود جديدة، وكل هذا باستخدام الفنيات الثمانية واحدة تلو الاخرى او مع بعضهم (Mony Elkaim، 234-236:p)، و هذه الفنيات هي :

1- العمل على التكوينات التفاعلية المعتادة : يجب على المعالج تشجيع الاسرة على العمل خلال الجلسة اكثر من الاستماع او وصف مجموعة من الاحداث.

يساعد هذا النوع من التدخل اعضاء الاسرة على ادراك معاملاتهم الخاصة بأكثر حدة ، ويكون مكان المعالج في الوسط حتى يتسنى له ملاحظة العملاء خلال الجلسة ، و بالتالي هذا يؤدي الى منافسة فعالة تنتج قنوات جديدة للاتصال.

2- اللعب على المساحة و الفضاء : يمكن اعتبار اعادة التنظيم المكاني من بين التقنيات التي تسمح بتنظيم التفاعلات الاسرية ، لهذا يجب العمل هنا على استخدام الفضاء الملموس بطريقة استعارية ، كل هذا من اجل تجسيد المسافة بين الاشخاص و قيام المعالج بتقريبها بتقريب الاماكن.

3- تعيين الحدود : يجب على الاسرة ان تحافظ على سلامة الانساق العامة التي شكلتها اكثر من محافظتها على الاستقلالية الوظيفية لكل عنصر فيها ، فالأسرة تتكون من نسق عام اضافة الى انساق فرعية : النسق الفرعي الزوجي-النسق الفرعي الوالدي - و النسق الفرعي الاخوي. يجب علي كل عضو فيها و كل نسق فرعي فيها التفاوض على الاستقلالية و التبعية ، لهذا يسعى المعالج هنا الى مساعدة اعضاء الاسرة الى الوصول الى احسن ازدهار نفسي اجتماعي داخل المجموعة الاسرية من خلال هذين المطلبين.

كما يقوم بتعزيز تفرد الاطفال بمنحهم الحقوق و الطرق المقاربة لسنهم و المتكيفة مع وضعياتهم داخل الأسرة ، مع ضمان ان تبقى حدود النسق الفرعي الزوجي واضحة الى حد ما ، من اجل حماية الزوجين من تطفل الاطفال او غزو اعضاء اخرين من الاسرة .

يرى minuchin أنه من الضروري وجود نسق فرعي والدي قادر على اتخاذ القرارات خاصة فيما يتعلق بتربية الأطفال ، إضافة الى سلطة كبيرة للوالدين على أبنائهم ، كما يحتاج الإخوة إلى حدود تحميهم من اجل أداء وظائفهم التفاعلية (من خلال هذه الحدود يتعلموا المنافسة و التعاون و التعود على التجنب او التخلي ، وتعلم كيفية ابرام تحالفات او فصلها...).

4- الرفع من مستوى الضغوط و التوترات : اذا نجح المعالج في احداث ضغوط في جزء ما في النسق ، فستظهر إمكانيات إعادة البناء اكثر وضوحا.

فهو يقوم اما بتجميد التكوينات التعاملية المعتادة ، اما بتسليط الضوء على الخلافات التي تميل الأسرة إلى اخفائها ، اما بشرح الصراعات السابقة الضمنية ، و أخيرا القيام ببناء التحالفات و الاتفاقات الزمانية مع احد أفراد الأسرة. مع منع أي تدخل من الام في العلاقات بين الاب و الاطفال.

5- اسناد المهمات العلاجية : تهدف هذه العمليات الى خلق أطر جديدة وظيفية ، تكون مقترحة من طرف المعالج خلال الحصص : فيشير كيف يكون اتصال اعضاء الأسرة و مع من ، مصاحبين هذا الوصف بالتحكم المكاني (تغيير مكان او توجيه المشتركين ،...) الذي يعتبر رمزا للتغيير ، كما يعطي المعالج واجبات للأسرة للقيام بها في المنزل خارج الحصص .

6- استخدام الاعراض : يركز المعالج هنا على العرض الذي يعتبر كنواة للضغوط الاسرية، لإعادة البناء تكون ممكنة اذا استطاع المعالج تعزيز العرض من خلال الرفع من حدته، لكن يستطيع المعالج تطبيق تدخلات اخرى في ظروف معينة : يستطيع المعالج ايضا استخدام العرض مثلا بتقليص اهميته من خلال اعادة تعريفه او الاهتمام بعرض اخر .

7- التحكم بالجو العاطفي : بعدما اصبح المعالج حليفا للأسرة ، يستطيع المعالج من خلال تقليد نمط الأسرة العاطفي بشكل تضخيمي، استقراز ردود فعل عامة للتغيير .

8- الدعم ، التعليمات والتوجيه: للدعم والرعاية المعنوية الذي تقدمه العائلات لأعضائها اهمية حيوية لكل واحد ، مثلما له أهمية لكل النسق، لذا يجب على المعالج تعزيز هذه العناصر من خلال تعليم اعضاء الأسرة كيفية التأكد من بعضهم البعض في الادوار الموكلة اليهم .

عندما يكون الأعضاء المسؤولون على الجماعة الأسرية غير قادرين على أداء وظائفهم، هنا ينطوي المعالج على ميزة لعب دور المدير حتى يكون كنموذج ، ثم يتخلى عن هذا الدور من اجل السماح للوالدين باستعادة وظيفتهما.

خلاصة :

يمكن ان نستخلص مما سبق ان للعلاج النسقي الأسري - مهما اختلفت اتجاهاته- ، دور فعال في تحسين التفاعل و التواصل بين افراد الأسرة الذي من شأنه ان يساهم في القضاء على أي سلوك مضطرب داخل الأسرة. فقدره اعضاء النسق على الوصل السليم تساعد و بشكل كبير في حل المشاكل الت تعتبر المولد الأساسي لأي اضطراب يسم هذا النسق.

المراجع

*باللغة العربية :

1-داليا مؤمن (2004) ، الأسرة و العلاج الاسري ، الطبعة الاولى ، دار السحاب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر .

- 2-سعيد حسن العزة (2000) ،الارشاد الاسري (نظرياته و اساليبه العلاجية) ، الطبعة الاولى ،مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الاردن.
- 3-عبد الفتاح تركي موسى (بدون سنة) ، البناء الاجتماعي للأسرة ، المعهد العالمي للخدمة الاجتماعية ، مصر.
- 4-علاء الدين كفاي (2006) ،الارشاد الاسري ، دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع ، القاهرة ،مصر.
- *باللغة الفرنسية :

-MONY ELKAÏM, panorama des thérapies familiales, édition du seuil, 5 paris.

- T.ALBERNE & K.ALBERNE(2000) , les thérapies familiales 6 , paris . ,édition masson systémiques

*المذكرات :

7-AMARDJIA NACERDINE (1988) , Traits specifique de la famille du patient depressif (milieu Algerien) , Thèse de doctorat de troisième cycle en psychologie , Université Louis Pasteur ,Strasbourg ,U.E.R.